النّقد الاجتماعيّ في الشّعر الشّاميّ في عصر الحروب الصّليبيّة

الدّكتور شفيق محمد الرّقب

غذّت الشّعرَ الشّاميّ في عصر الحروب الصليبيّة مجموعةٌ من الرّوافد الشّعبيّة الّتي قوّت صلة هذا الشّعر بالحياة العامّة، واتّجهت به نحو تصوير مظاهر الحياة الاجتماعيّة لجمهرة الشّعب؛ ولعلّ أقوى هذه الرّوافد كثرة الشّعراء الّذين كانوا من عامّة النّاس، مثل: ابن منير الطرابلسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، وفتيان الشّاغوريّ (ت ٦١٥ هـ)، وابن عنين (ت ٦٣٠ هـ)، والمسجّف العسقلانيّ (ت ٦٣٥ هـ)، وأبي جلنك الحلبيّ (ت ٧٠٠ هـ)، وعين بصل (ت ٧٠٩ هـ)(١).

وقد نقل لنا هؤلاء الشعراء وغيرهم نبضَ المجتمع الشاميّ في عصر الحروب الصّليبيّة بما تلاحق عليه من تغيّرات اجتماعيّة، وما ألمّ به من تقلّبات سياسيّة، وما اعتراه من أوبئة وكوارث طبيعيّة. كما تناولوا بالنّقد اللاذع مظاهر الفساد الإداريّ والاجتماعيّ، وكأنّهم كانوا يريدون أن يبصّروا النّاس بها، ويحثّوا أولي الأمر على تخليصهم منها.

وسَنُدْرِسُ في هذا البحث ظاهرةُ النّقد الاجتماعيّ، وهي ظاهرة شاعت في الشّعر الشّاميّ زمن الحروب الصليبيّة على نحو يسترعي النّظر، لعدّة أسباب من أهمّها: التفاوت الكبير بين فئات المجتمع في مستوى المعيشة؛ فعلى الرّغم من الإصلاحات الاجتماعيّة الواسعة الّتي أجراها

الزّنكيّون ثمّ الأيّوبيّون، فإنّ النّهج الإقطاعيّ الّذي ساروا عليه قد عمّق الهوّة بين العامّة وأرباب الإقطاع؛ إذ يُستفادُ من أخبار كثيرة أنّ عامّة الشّعب كانت تعاني من الإقلال وشظف العيش، وأنّه كان عليها أن تعمل في المهن اليدويّة في المدن، أو في الفلاحة لدى المقطعين من الأمراء وغيرهم(٢). وقد كانت تُفرض على هذه الفئات، على فقرها، الضرائبُ الّتي تستصفي ما لديها من أموال وزروع هي بحاجة ماسّة لها، لكي تُقيم أَوَد عيشها.

ومن الأسباب الّتي استدعت القول في النّقد الاجتماعيّ جَورُ بعض الحكّام من السّلاطين والأمراء والوزراء والعمّال، وقد ذكرت المصادر صوراً مختلفة لتعدّيات هؤلاء الحكّام على الرّعيّة(٣)، وأوردت ضروباً متعدّدة من العقوبات الّتي كان يلحقها بعضهم بالنّاس، مثل الصّلب والتّسمير. وقد نقل أبو شامة المقدسيّ في كتابه (الذّيل على الرّوضتين) صورة مؤثّرة لغلام قتله أحد الأمراء لـ «أنّه دافع عن نفسه أمراً لم يرض وقوعه به»(٤)، وأتبَعَ أبو شامة الخبر بقصيدة لأحد الشعراء رثى فيها هذا الغلام، وأسى لمصيره الفاجع.

ومن هذه الأسباب الفسادُ الإداريّ الّذي أخذ يستشري في أوصال الدّولة الأيوبيّة بعد وفاة صلاح الدّين، ولا سيّما أنّ بعض الوزراء قد انتهز فرصة الصّراع بين ورثة الملك النّاصر، ليعسف بالرّعيّة، ويحقّق بعض المكاسب الخاصّة؛ فقد ذُكر أنّ الوزير صفيّ الدّين بن شكر(٥) كان «إذا لاح له مال عظيم آحتجنه.. وكان له في كلّ بلد من بلاد السلطان ضيعة أو أكثر»(٦). وقد امتدّ هذا الفساد إلى عدد من القضاة الّذين كانوا يظلمون في أحكامهم، ويستغلّون نفوذهم لِجَرِّ الدّنيا إليهم، كما سيتبيّن لنا من الحديث عن نقد القضاة.

غير أنّه ينبغي ألّا تعمّم الأحكام المستوحاة من الأسطر السّابقة والأشعار اللاحقة على العصر كلّه، لأنّ ذلك مخالف للواقع ولحقائق

التّاريخ، فهو كغيره من العصور فيه الخير والشرّ، ومن ثمّ فإنّ هذا البحث إنّما يعرض لجانب واحد، ليس غير، من جوانب الحياة آنذاك، وهو الجانب الّذي يتّصل بما كان النّاس يتذمّرون منه ويشكونه.

وقد تنوّعت أساليب الشّعراء في النّقد والإصلاح، فمنهم من آثر أسلوب النّصح والوعظ مستوحياً تعاليم الإسلام الّتي تحثّ الحكّام على الأخذ بدستور الشريعة في الحكم، ومنهم من كان يرفع شعره لأولي الأمر متظلّماً ومستعدياً على العمّال الجائرين، ومنهم من أضفى على نقده طابع التندّر والهزل راسماً للمهجوّ صورة ساخرة تستثير الضّحك، ومنهم من استحال النّقدُ لديه سباباً يداخله غير قليل من الكلمات الجارحة.

وقد تعدّدت الظواهر الّتي نقدها الشّعراء، ومن أهمّها: الحُكم، والقضاء، والكسب غير المشروع، وانهيار القيم.

أوّلاً ـ الحُكْم : ـ

كان صوتُ النّقد الموجّه إلى الحكّام في الشّعر الشّاميّ في عصر الحروب الصّليبيّة جهيراً، ولم يكن هذا النّقد مجرّد حسراتٍ مبهمة على سوء الأحوال السّياسيّة والاجتماعيّة، وإنّما كان نقداً صريحاً يشخّص الشّعراء فيه الدّاء، ويبيّنون أسبابه، ويدعون إلى معالجته، ويحذّرون من عواقب استفحاله، وربّما وجدت دعواتهم تلك آذاناً صاغية، فيستجيب الحكّام لها؛ من ذلك ما أورده أبو شامة في كتابه (الرّوضتين) من أنّ أبا عثمان المنتجب ابن أبي محمّد الواسطيّ(٧) أنشدَ نورَ الدّين، وقد وفد عليه واعظاً، قصيدة حثّه فيها على إبطال المظالم من دولته، وإسقاط ما يدخل منها في شبهة الحرام، وممّا ورد في القصيدة(٨):

مَثّلْ وقوفَكَ أيُّها المغرورُ ... يومَ القيامةِ والسّماءُ تمورُ

إنْ قيل نور الدّين رُحْتَ مسلّماً ... فاحذرْ بأن تَبْقَى وما لكَ نورُ

أنهبْتَ عن شُربِ الخمورِ، وأنت مِنْ ... كأسِ المَظالمِ طافحٌ مخمورُ
عطّلْتَ كاساتِ المدامِ نعفّفاً ... وعليكَ كاساتُ الحرامِ تدورُ
ماذا تقولُ إذا نُقلتَ إلى البلى ... فرداً، وجاءكَ مُنكَرٌ ونكيرُ؟!
وتعلّقتْ فيكَ الخُصُومُ وأنتَ في ... يومِ الحسابِ مُسحَّبٌ مجرورُ

ويمضي الفقيه الزّاهد في قصيدته على هذا النّحو الوعظيّ، بأسلوب سهل لا يخلو من ألفاظٍ أُغْلِظ فيها للملك العادل نور الدّين. وقد علّق أبو شامة على القصيدة قائلاً: «ولعلّ هذه الأبيات كانت من أقوى الأسباب المحرّكة إلى إبطال تلك المظالم، والخلاص من تلك المآثم»(٩).

ونجد مثل هذا الأسلوب الوعظيّ الذي ينقد الأوضاع ويدعو إلى الإصلاح عن طريق استثارة المشاعر الإسلاميّة والتخويف من عذاب الله، لدى أبي الحسن بن زيد الشّيزريّ في قصيدة أرسلها إلى الوزير مجد الدّين بن الدّاية(١٠)، ولدى الفقيه شمس الدّين المقدسيّ(١١) في قصيدة أرسلها إلى الملك الصّالح إسماعيل يحذّره فيها من عاقبة الظّلم، ويشكو له فساد حاشيته، ويذكرهم له واحداً واحداً، مبيّناً أنّهم قد ظلموا النّاس، ونشروا الآفات، وعطّلوا أحكام الشّرع، ولم يعد لهم همٌّ إلاّ كسب الأموال بأيّ وسيلة كانت. يقول(١٢):

يا مالكاً لم أجْدِ لي من نصيحته ... بدّاً، وفيها دمي أخشاه منسفكا
آسْمَعْ نصيحةَ مَنْ أوليتَه نعماً ... يخاف كفرانَها إن كفّ أو تركا
والله لا امتدّ ملك مدّ مالكُه ... على رعيّتِهِ منْ ظُلمِهِ شَبَكا
ترى الحسودَ به مستبشراً فرحاً ... مستغرباً من بوادي أمرِهِ ضَحكا
وزيرُه ابن غزالٍ والسّرّفيعُ لهُ ... قاضي القضاةِ ووالي حربه ابن بكا
ونعلبٌ وَفُضَيْلٌ من هما، وهما ... أهل المشورة فيما ضاق أو ضنكا
جماعةٌ بهمُ الآفاتُ قد نُشرت ... والشّرع قد مات والإسلام قد هلكا

ما راقبوا الله في سرٍّ وفي علنٍ وإنّما يرقبون النّجمَ والفلكا
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم أو كان شرّاً وأمراً سيّئاً فلَكا

وأضفى شعراء آخرون على نقدهم مشاعر الاستهجان والدهشة من مواقف بعض الحكّام وتصرّفاتهم الّتي تخالف المعهود في سياسة الدّولة الإسلاميّة، ومازج هذا الاستهجان غيرُ قليل من الشّعور بالنّقمة؛ فقد استغرب فتيانُ الشاغوريّ أن يقوى نفوذ اليهود في دولة الملك الأمجد بهرام شاه، وأنكر عليه استيزاره لمهذّب الدّين السّامريّ(١٣) الّذي أكثر من استخدام أقاربه من السمرة، فـ «كثر منهم العسف وأكل الأموال والفساد»(١٤)، ودعاه إلى الفتك بهم كما فتك هارون الرشيد بالبرامكة من قبل. يقول(١٥):

الملك الأمجدُ الذي شهدت له بملوك الزّمان بالفضلِ
أصبح في السّامريّ معتقداً ما اعتقدَ السّامريّ في العجلِ
والسّامريّون كالبرامك مِنْ قبلُ، فأين الرّشيدُ للقَتْلِ؟!

ورفع بعض الشعراء أشعارهم إلى الملوك والسلاطين يتظلّمون فيها من عمّالهم الجائرين، ويستنصرونهم عليهم، ويحمّلونهم المسؤوليّة معهم إن لم يخلّصوهم منهم، فعندما ولّى أسدُ الدّين شيركوه(١٦) يوسفَ بن الملّاح الحلبيّ(١٧) وآخر معه من بعض الضّياع الرّحبة ساءت سيرتهما فيها؛ فكتب إليه ابن النّقاش الحلبيّ(١٨) أبياتاً صوّر فيها تبرّم النّاس بهذين الرّجلين، ونقمتهم عليهما، حتى أوشكت هذه النّقمة أن تطال أسدَ الدين نفسه. يقول(١٩):

كم لك في الرّحبة من لائم يا أسدَ الدينِ ومِن لاحِ
دمّرتَها من حيثُ دبّرتها برأي فلّاحٍ وملّاحِ

ويُلحّ عليه في بيتين آخرين بأن يخلّص أهل الرّحبة من جور يوسف ابن الملاّح. يقول(٢٠):

يـا أسـدَ الـدّيـن أغـثـنـا أجـرَنـا ... وخـلّص الـرّحـبـةَ مـن يـوسـف
تغـزو إلى الـكفـر، وتـغـزو بـه الـ ... إسـلام، مـا ذاك بـهـذا يـفـي

وفي سنة ٥٧٢هـ قدم أبو حسّان المعرّي(٢١) إلى السلطان صلاح الدّين في حماة، وأنشده قصيدة تظلّم فيها من والي تدمر الّذي أساء إليه، واستصفى أمواله، وممّا ورد فيها قوله(٢٢):

أسلطان أرضِ الله ذا الـطّوْلِ والقَهْـرِ ... حليفَ المعـالي والمنـاقب والـفخـرِ
أفي عَدْلك المبسـوطِ، والشّرع حـاكمٌ ... بمُلكيَ أُقصى عنه بـالـدفع والـزّجْـرِ
وَيُـطلبُ منّي فـوْقَ مـا أسـتـطيعـهُ ... على فـاقـة من ضيقـة اليدِ والعُسْـرِ
ألمْ تُسرْع للشّهـر المعـظّم حـرمـةٌ ... ولا لـكتـاب الله أتـلوه في صـدري؟!

ونزع بعض الشعراء في تعريضهم بالحكّام إلى تشويه صورة المهجوّ ونعته بكلّ قبيح منفّر. من ذلك قول محمد بن سوّار بن إسرائيل(٢٣) يصف أحد المتولّين الجائرين، جاعلاً إيّاه شؤماً على الرّعيّة، ومصوّراً المفارقة الأخلاقيّة في سلوكه، وانعكاس الأحوال في عهده(٢٤):

يـا فـاضـح الـدّين والـدّنيـا بسـيـرتـه ... وقـامـع العـدل والإحسـان والجـود
قد ضاق ظاهر ما في الأرض منك فما ... بـاطن الأرض ميّتٌ غـيـر محـسـودِ
خفّضْ عليك فـإنّ النـاس قـد أيسـوا ... من خضـرة العيشِ في أيّـامـك السّودِ

وإمعاناً في الانتقاص من قدر الحكّام، أكثر الشّعراء من استخدام صور الحيوانات والحشرات، ومقارنة المهجوّ بها، كما في قول الشاعر المعروف بالبديع الدّمشقيّ(٢٥)، يصف أحد الحكّام بالبهيمة، فكانت النتيجة أن سُجنَ الشاعر(٢٦):

حاكمُكمْ بهيمةٌ ليستْ تساوي العلفا
وليس فيه مضغةٌ طيّبةٌ إلّا القفا

وقد صاغ شعراء آخرون نقدهم للحكّام بأسلوب هزليّ تتبدّى فيه روح السّخرية بقوّة، ولعلّ أشهر أولئك الشاعر الدمشقيّ ابن عنين، الّذي ثابر على هجاء الحكّام في عصره، حتّى اقتحم بأهاجيه غضبهم وإحن صدورهم. ويُستشفّ من هذا الهجاء أنّ ابن عنين كان ذا نفسٍ ثائرة قلقة متوثّبة، لا ترضى على أيّة حال، وأنّه كان مطبوعاً على ذمّ الناس وثلبهم، وعزّز هذا الطّبعَ أنّه رأى عيوبَ النّاس في عصره أكثر من محاسنهم، فآثر ألّا يأوي إليهم، ولا يكفّ عن ذمّهم. لذا فإنّ من يقرأ هذا الهجاء يشعر أنّه يعبّر عن تجربة إنسانيّة عميقة فيها قدر طاغ من حدّة الإحساس وقوّة الشّعور، كما يستبين له شاعرٌ بارعٌ قادرٌ على التصرّف في معاني النّقد وفنون الهجو. فها هو ذا يتقوّل على دولة صلاح الدّين، مستغلاً العيوب الجسديّة لمهجوّيه، ومبرزاً إيّاها إبرازاً مضحكاً، ومصوّراً أخلاقهم وضعف نفوسهم تصويراً هزليّاً، حتّى بدت هذه الدّولة وكأنّها لا تضمّ إلّا كلّ ذي عاهة ومفسدة. يقول(٢٧):

سلطانُنا أعرجٌ وكاتبُهُ ذو عمَشٍ والوزيرُ مَنحدِبُ
وصاحبُ الأمرِ خلقُهُ شَرِسٌ وعارضُ الجيش داؤه عَجَبُ
والدّوْلَعيُّ الخطيبُ معتكفٌ وهو على قشرِ بيضةٍ يَشِبُ
ولابن باقا وعظٌ يَغرُّ بهِ النّا (م) س وعبدُ اللطيف مُحتسِبُ
عُيوبُ قومٍ لو أنّها جُمِعَتْ في فَلَكٍ ما سَرَتْ بهِ شُهُبُ

وقد لج ابن عنين في نقد دولة الملك الناصر صلاح الدّين، فنفاه من دمشق، فهتف في وجهه قائلاً(٢٨):

فعلامَ أبعدتُمْ أخا ثقةٍ لم يجترمْ ذنباً ولا سَرَقا
آنفوا المؤذّن من بلادكمُ إن كان يُنفَى كلُّ مَنْ صَدَقا

وينساق ابن عنين وراء طبيعته العدوانيّة الهجّاءة في حملته على دولة صلاح الدّين، حتّى ليشذّ في بعض أشعاره عن مشاعر الأمّة الإسلامية تجاه الغزو الصليبيّ؛ يقول(٢٩):

لا كانَ يومٌ بُدّلت فيه الكنائسُ بالمعاجدْ
لا تفرحوا بفتوحكمْ هذا فإنّ الدّهرَ راقِدْ

وعندما أذن له الملك العادل بالعودة إلى دمشق، عاد إليها قَوِيّ النَّفس، وهو يُنْشِد(٣٠):

هجوتُ الأكابرَ في جلّق ورُعتُ الوضيع بهجو الرّفيعِ
وأُخرجتُ منها ولكنّني رجعتُ على رغم أنْفِ الجميعِ

وواصل ابن عنين بعد أن رجع من منفاه توجيه النّقد اللاّذع للدّولة الأيّوبيّة، من ذلك البيتان التاليان اللذان يشجب فيهما دولة الملك العادل، متّكئاً على المفارقة الّتي تؤكّد الذمّ بما يشبه المدح(٣١):

إنّ سلطاننا الّذي نرتجيه واسعُ النّمالِ ضيّقُ الآفاقِ
هو سيفٌ كما يُقال ولكن قاطعٌ للرّسوم والأعناقِ

ويستخدم ابن عنين التورية ببراعة في نقده للأوضاع في مدينة دمشق، وما آل إليه النّاس من حيرة واضطراب، وذلك بعد أن أخذ الملكُ الكاملُ محمّدُ المدينةَ من الملك المعظّم عيسى، وأعطاها الملكَ الأشرفَ موسى. يقول(٣٢):

وكنّا نُرَجّي بعد عيسى محمّداً ليُنقذَنا من لاعج الضرّ والبلوى
فأوقعنا في تيه موسى فكلّنا حيارى ولا منّ لديه ولا سلوى

ثانياً ـ القضاء :

تولّى القضاءَ في بلاد الشّام في عصر الحروب الصليبيّة عدد من القضاة الّذين نوّهت المصادر بعدلهم، مثل القضاة الشّهرزوريّين، والقاضي محيي الدّين بن زكيّ الدّين. . غير أنّ هذا الحُكم لا ينسحب على القضاة جميعاً، إذ وُجد بعض القضاة الّذين انحرفوا عن الجادّة، وظلموا النّاس. وقد تردّدت أصداء ذلك في الشّعر الشّاميّ على نحو واضح، فقد تذمّر أبو المجد المعرّيّ(٣٣) من ظلم بعض القضاة في عصره، وعسفهم بالرّعيّة، حتّى غدوا وكأنّهم بلاء منزل بهم، أو نقمة مسلّطة عليهم. يقول(٣٤):

تولّى الحكم بين الناس قوم ... بهم نزل البلاء من السّماءِ
كأنّهم الذّئاب إذا تعاوت ... سواغبها على آثار شاءِ
يقول القائلون إذا رأوهم : ... لقد جار القضاءُ على القضاءِ

وأنفذ ابن المهنّا إلى قاضي حلب أبياتاً يشكو فيها نائبه وكاتبه، ويدعوه إلى إقالتهما، وتخليص الرّعيّة منهما، بعد أن كثر منهما الفساد. يقول(٣٥):

لا عجبٌ أن خرب الشامُ أو ... أقوت مغانيه ولا غروْ
قد أصبح المجدُ به حاكماً ... وأصبح المنشي لهُ صنوْ
مولاي، محيي الدّين، غيّرْهما ... عنّا فتحوي شكرنا أوْ

وكان القاضي الأعزّ أبو الفتح محمّد بن عبد الله التميميّ(٣٦)، قاضي صور، يجعل على رأسه عمامة عليها رسوم وتصاوير مختلفة، فاتّخذ ابن منير الطرابلسيّ من ذلك مادّة للتبذّر به والسخرية منه، مصوّراً ضآلة عقل هذا القاضي، وولعه بالمدح، وكيف أنّ الناس كانوا ينصبون عليه بالمدح الكاذب ليحظوا عنده، ويخلص ابن منير من ذلك إلى تصوير بطلان أحكام هذا القاضي وعدم صلاحيّته لمنصب القضاء. يقول(٣٧).

مـكّـن الله درّتـي مـن أعـالـي ... سـفـلٍ يـدّعـون فـيـه الإمـامـة
كـلّ فـشـلٍ إذا رآه تـردّى ... خـاضـعـاً راكـعـاً ذلـيـلاً أمـامـة
قـائـلاً يـا عـذيـرَ حـاتـمِ الـطّا ... ئيّ في مـا يـولي وكعب بن مـامـة
يـا مـلـيح الـشّـبـاب يـا أنـضـر الـنّـا ... س ، ويـا أحـسـنَ الـبـريّـةِ قـامـة
كـلُّ هـذا نَصبٌ عـلى الخَـرب البيـ ... ـتِ لـيـفـنـوا خـلـقـانـه وطَـعـامـة
وهـو إذْ ذاك لا يـريـد سـوى تـيـ ... ـهٍ عـلـيـهـمْ وسـطوةٍ وعـرامـة

وقد توالى على منصب قاضي القضاة في دمشق في النّصف الثّاني من القرن السابع الهجريّ عـدَدٌ من القضاة الّـذين لم يتحرّوا العـدل في أحكامهم، ومن هؤلاء أحمدُ بن هبة الله الملقّب بالصّدر بن سنيّ الدّولة، الّذي «كان مـراعياً لأربـاب الجاهـات كثيراً»(٣٨)، فـاستشهد النّجيب بن الشقيشقة «لأجل جاه كان النّجيبُ متّصلاً به، وميّزه بأن جعله عاقداً للأنكحة بباب جامع دمشق، فعجب النّاس منه وأنكروا ما فعله» لأنّ النّجيب «كان مشهوراً بالكذب ورقّة الدّين وغير ذلك»(٣٩). وقد قال أحد الشّعراء الشّاميّين ثلاثة أبيات أنكر فيها بشدّة على القاضي الصّدر بن سنيّ الدّولة أن يولّي رجلاً موصوفاً بانحلال العقيدة والجهل بأحكام الشّرع، عَقْدَ الأنكحة للمسلمين، والأبيات هي(٤٠):

جَـلس الشُقيشقـةُ الـشقيّ لـيشـهـدا ... بـأبـيـكـمـا مـاذا عـدا مـمّـا بـدا
هـل زُلـزل الـزّلـزال أم قـد أُخـرج الـ ... ـدّجـالُ أم عُـدِمَ الـرّجـال ذوو الهـدى
عـجـبـاً لـمـحـلول الـعـقـيـدة جـاهـلٍ ... بـالـشّـرع قـد أذنـوا لـه أن يَـعْـقِـدا

وذكر أبو شامة المقدسيّ في كتابه (الذّيل على الرّوضتين) أنّه تولّى القضاء في زمانه ثلاثة مشهورون بالفسق والظلم، هم: النّجم بن الصّدر سنيّ الدّولة، وكان «حاكماً جائراً فاجراً ظالماً متعدّياً»(٤١)؛ وابن الجمال المصريّ الّذي «لم تكن طريقته مستقيمة»(٤٢)؛ والرّفيع الجيليّ الّذي «فعل

بالنّاس الأفاعيل»(٤٣) وقد قال أبو شامة ثلاثة أبيات حصر فيها هؤلاء القضاة ونوّابهم، مصوّراً فظاظتهم، واستشراء شرّهم، وابتلاء النّاس بهم(٤٤):

دمشق في عصرنا مع فضلها بُليتْ ... من القضاة بجهّالٍ وأوقاحِ
بأعجمين ومصريّ وصائغهم ... والأربليّ وخيّاطٍ وفلّاحِ
هم ضعف سنة والنوّاب كلّهم ... ضعفان أحزانهم أضعاف أفراح

ولمّا كثر تعدّي النّجم بن الصّدر بن سنيّ الدّولة عُزِلَ، وأُرسل إلى مصر، وقد صوّر أبو شامة المقدسيّ ردود الفعل الشعبيّة بعد أن سَمع النّاس بعزل القاضي ومغادرته دمشق، فقال: «ثمّ سافر الحاكم المعزول إلى مصر تحت الحوطة.. والدّعاء عليه كثير، والتّظلّم منه شائع، والدّعاوى عليه كثيرة»(٤٥) وقد قال العماد داود بن الحمويّ(٤٦) في هذه المناسبة قصيدة تمثّل فيها مشاعر الدمشقيّين الغاضبة إزاء هذا القاضي المخلوع، الّذي فتق الشّرع، واحتال على الخلق، وبدّد الأموال، مصوّراً شماتة النّاس به، وكراهيّتهم له، وتفنّنهم في ذمّه، وممّا ورد فيها(٤٧):

نجمُ أتاه ضياءُ الشمسِ فاحترقا ... وراحَ في لُجَجِ الإدبارِ قد غَرِقا
ناحَتْ عليه الليالي وهي شامتة ... وعرّفتهُ صروف الدّهر ما اختلقا
وحدّثته الأماني وهي كاذبةٌ ... بأنّه لا يَرى بَعْد النّعيم شقا
وجادَ بالمالِ كي تبقى رئاستُه ... وفتّق الشّرع والتّقوى وما رتقا

* * *

وألقيتْ في قلوب النّاسِ بغضتُه ... لكنّهمْ قد غدوا في ذمّهِ فِرَقا
ففرقةٌ بقبيح الظّلم تَذكرهُ ... وفرقةٌ حلفت بالله قد فَسقا
وفرقةٌ سلبته ثوبَ عصمته ... بأنّه من رباطِ الدّين قد مَرَقا

وزاد أبو شامة من قوله:

وفرقةٌ وَصَفَتْهُ بالخلاعة مَعْ ... خُبثٍ وكِبْرٍ وكلٌّ منهمُ صَدَقا

وفي سنة ٦٦٣هـ اجتمع على ولاية القضاء بدمشق، وفي زمن واحد، أربعة قضاة، وجُعل كلّ واحد منهم قاضي القضاة لأحد المذاهب الأربعة، وقد استهجن أبو شامة المقدسيّ ذلك قائلاً: «وهذا شيء ما أظنّه جرى في زمان سابق»(٤٨)، وكان لقب ثلاثة من القضاة شمس الدّين، واتّفق أنّ رابعهم، وهو الشّافعيّ، استناب من لقبه شمس الدّين، فاتّخذ الشّعراء من ذلك مناسبة للتندّر والسخرية، كما في قول أحد الظرفاء(٤٩):

أهلُ دمشقَ استرابوا ... منْ كثرةِ الحكّامِ
وَهُمْ جميعاً شموسٌ ... وحالهمْ في ظلامِ

وَقَوْلِ آخر:

أظلمَ الشّامُ وقد ... وَلِيَ الحُكْمَ شموسُ
ليس فيهمْ من يبتّ الـ ... ـحكمَ علماً أوْ يسوسُ

ثالثاً ـ الثروة والكسب غير المشروع:

استغرق الحديثُ عن هذه الظاهرة أشعاراً كثيرة، من ذلك قصيدة أرسلها ابن منير الطرابلسيّ إلى رئيس حلب عفيف الدّين بن المستوفي بعد أن اتّصل به أنّه نُفي وأنّ الحَشريّة(٥٠) دخلوا داره لحصر ماله، وقد صبّ ابن منير على أولئك الذين دخلوا داره جامَّ غضبه، ونقم عليهم نقمة شديدة، منكراً، وبأسلوب حادّ، أن تكون له ثروة، ذاكراً أسماء بعض رجال عصره الّذين تضخّمت ثرواتهم، فاضحاً الأساليب الّتي يتبعونها في جرّ الأموال إليهم، واختلاس أرزاق العباد؛ وممّا ورد في القصيدة(٥١):

أينَ وجْه الكسب الّذي أنا فيه ... من وجوه التّجار والأعيانِ
اقتنوا ما اقتنيتُ بالشّعر، في الشّعـ ... ـر تذوقوا مرارة الحرمانِ
أترانسي أكلتُ جَذْر عيالي ... مثل ما كان يفعل القيرانيِ
أم كنفتُ الفلوس في خالدِ ابني ... عام قادت عليه أمّ بِنانِ

أمْ دهاني قتلُ الشهيد وعندي حاصلٌ في معرة النعمانِ
أم تولّيتُ شِرْكَ ما كان يجنيـ ـه ابن ريدان من جذور القيانِ
أم أنا من جماعة نمّسوا بالدْ دينِ، حتّى احتسوا دماء الدّنانِ
كوّروها جُوالقاتٍ بِفِقْهٍ بان فيه رياؤهم، وقُرانِ

وتذمّر النعمان بن وادع المعرّيّ(٥٢) من استحواذ العمّال على أموال الناس وأملاكهم، وحرمانهم منها، وذلك إذ يقول(٥٣):

يا أيُها المُلاّكُ لا ترتجوا الـ أملاك وارجوها إلى القابلِ
فالعام قد صحّت ولكنّها للعدلِ والمشرفِ والعاملِ

ويُعنّف أبو الحسين علي بن يحيى المعروف بابن السلاّر الكاتب(٥٤)، مستخدَماً كان حريصاً على استصفاء أموال النّاس زوراً وبهتاناً، مُسْتَهْجِناً تعدّيه على حقوقِ الخلق، ومتوعّداً إيّاه بعذاب الله. يقول(٥٥):

هبْ قد جمعتَ جميع أملاك الورى وأخذتها بالزّور والبهتان
فظلمتَ فيها واعتديتَ تجرّؤاً أفما خشيت عقوبة الرّحمنِ

وحين يأسى فتيان الشّاغوريّ لموجات الغلاء الّتي توالت على بلاد الشّام، يلتفت إلى أولئك الّذين احتجنوا الأموال، وسكبوها في دورهم، بينما تعاني الرّعية من الجوع والضّنك. يقول(٥٦):

هُمْ أطلقوا طَرْف الغلاء فجاءنا عن طِرْف رخصٍ بالفلاةِ مقيّدِ
ما بينَ جدبٍ نحنُ فيه ورخصهم إلاّ كغلوة سهمِ رامٍ جيّدِ

وكان ابن عنين من أكثر الشعراء إلحاحاً على تصوير ظاهرة الكسب غير المشروع، فهو لا يفتأ ينتهز أيّة مناسبة ليبصّر النّاس بالّذين تمتدّ أيديهم إلى الأموال العامّة؛ فها هو ذا يغمز متولّي دار الزكاة في دمشق، ويثير الشّكوك حول المنزل الّذي بناه(٥٧):

وسائق الصّبيان أضحى ابنه ... يسرق من دار الزكاة الذّهبْ
لا تسألوه واسألوا داره ... فإنّها تخبر عمّا ذهبْ

ويبسط ابن عنين لسانه في ناظر الأيتام في دمشق، ويتّهمه في أمانته، ويصوّر - ساخراً - سرقته أموال اليتامى، وحتّى تحقّق الأبيات أكبر قدر من التأثير الهجائي، فقد صاغها ابن عنين على شكل خبرٍ يستفتي فيه النّاس في أمر ناظر الأيتام الّذي قابله بالاستخفاف حين ذهب إليه يطلب منه الأمانة التي أودعها عنده. يقول(٥٨):

يا معشرَ النّاسِ حالي بينكمْ عَجَبٌ ... وليسَ لي بينكم يا قومُ أنصارُ
هذا ابنُ كاملٍ قد أودعتُهُ ذهباً ... صُيّابةً ما لها في العينِ مقدارُ
وجئتُ أطلبُها منهُ وقد عَرَضَتْ ... في السّوقِ منّي لبانَاتٌ وأوْطارُ
فقامَ ينفضُ كمّيه وينظر في ... صندوقه وينادي : جرّها الفارُ
فقلتُ : لا شبّ قَرْنُ الفارِ كمْ أكلوا ... مالَ اليتامى، وكمْ جرّوا وكم جاروا

وينتهز ابن عنين فرصة أمر الملك المعظّم عيسى بأن تُسلسل أبواب الجامع الأمويّ بدمشق، فيلتمس تعليلاً آخر لذلك، ليطعن به في أمانة سدنة المسجد الّذين نهبوا أمواله. يقول(٥٩):

لمّا رأى الجامعُ أموالَه ... مأكولةً ما بين نوّابِهِ
جُنّ فمِن خوفٍ عليه غدا ... مُسَلْسَلاً من كلّ أبوابِهِ

ويقترب ابن عنين من الرّوح الشعبيّة اقتراباً شديداً في ألفاظه وأساليبه، حين يهجو صاحب خزانة الملك المعظّم عيسى، ويجرّده من كلّ فضيلة، ولا سيّما من الأمانة على أموال الخزانة(٦٠):

يا مليك الدّنيا الّذي أعظم اللـ ... ـه بتأييد عزّه سلطانَهْ
أنبا أشكو إليك جَوْرَ رقيعٍ ... لقّبوه الصّفمان تاج الخزانَهْ
عدم العقلَ والمروءةَ والإحـ ... ـسانَ والدّين والحيا والأمانَهْ

وحـوى الـلؤمَ والـرّقـاعـة والخـ ـسّـةَ والجهـل والخنـا والخيـانـة
زعـمـوا أنّـه حـفـيظ عـلى الـمـا ـلِ أمينٌ قلتُ : اسكتي يـا فـلانـة

ونظم أبو شامة المقدسيّ قصيدة طويلة صوّر فيها فساد القائمين على أموال الوقف في دمشق لعصره، ووجد عليهم موجدة شديدة، لأنّهم كانوا يتصرّفون في هـذه الأموال على غير هدى، وينفقونها حسب أهوائهم وميولهم، ويحرمون منها مستحقّيها من طلبة العلم؛ وممّا ورد فيها قوله(٦١) :

اتّـخـذْ حـرفـةً تـعـيشُ بـهـا يـا طـالـبَ الـعـلـمِ ، إنّ لـلـعـلـم ذِكْـرا
لا تـهـنـه بـالاتّـكـال عـلى الـوقـ ـفِ فـيمضي الـزّمـان ذلاً وعـسْـرا
إنّـمـا تحصـلُ الـوقـوفُ لـشـرّيـ ـرٍ ونـذلٍ مـن الـعـلوم مـبـرّا
أو لـمـنْ يـلزم الأكـابـر لا يَـبْـ ـرح فـي خـدمـة ومَـدْحٍ وإطـرا
والضعيف المشـغـول بـالعلم يلقى مـن ولاةِ الـوقـوف هَجْـراً ومُـجْـرا

رابعاً ـ انهيار القِيَم :

اتّخذ هذا النّمط من النّقد مظهر الشّكوى من النّاس بصورة عـامّة، فيبدو الشّاعر، انطلاقاً من تجربته الذّاتية، قلقاً متأزّماً، وقد سرت في نفسه نزعة من التشاؤم. ومع أنّ للحالة النفسيّة للشاعر دوراً كبيراً في هذا الضّرب من النّقد، غير أنّه نقد تعميميّ يصوّر اضطراب المعايير، وانقلاب الأحوال، وتهزّع الأخلاق، وفقدان الأخ والصديق، وشيوع النّفاق، وتفشّي الفساد، وانعدام الأمل في الإصلاح.

وقد كثرت هذه الظاهرة في الشّعر الشّاميّ في عصر الحروب الصليبية على نحو يسترعي النّظر، حتّى بدا النّاس وكأنّهم يعيشون في محنة خلقيّة. وربّما كانت المحن والأزمات الّتي توالت على البلاد آنذاك هي الّتي شحذت هذا النزوع في نفوس الشّعراء. فقد ألّف ابن سنان الحلبيّ(٦٢) تصنيفاً سمّاه (سلوة الإنسان عن محبّة الإخوان) ضمّنه قطعاً من أشعاره، وقد نقل ابن

الشعّار الموصليّ طائفة منها تصوّر تضجّره، ونقمته على النّاس، وتطيّره منهم؛ من ذلك قوله(٦٣):

بؤساك يا دهر والنّعماء واجدةُ ... والنّفع والضرّ عندي فيك سيّانِ
عادت صروف الليالي كلّ ذي ثقةٍ ... فما تُخالُ إلاّ كلُّ خوّانِ
كمْ قدْ تأمّلتُ أقواماً فخلتهمُ ... ساداتِ قومٍ وما هم غير سيدانِ
بالله أقسمُ لم تظفر يداي ولا ... إنسان عيني في الدّنيا بإنسانِ

وتحدّث أبو الفوارس المظفّر بن عمر(٦٤) بأسىً بالغٍ عن انثلام القيم في عصره، وكيف أثّر ذلك في نفوس النّاس، حتّى غدوا يعيشون تحت وطأة القلق والضّيق(٦٥):

ودِدْتُ بأنّ الدّهر ينظر نظرة ... بعين جلا عنها الغَيايةَ نورُها
إلى هذه الدّنيا الّتي قد تخبّطت ... وجُنّت فساسَ النّاسَ فيها حميرُها
فيُنكر ما لا يرتضيه مُحصّلٌ ... ويأنف أن تُعزى إليهِ أمورُها
فقد أبغضت فيها الجسومَ نفوسُها ... ملالاً، وضاقت بالقلوبِ صدورُها

وتأمّل الحافظ أبو محمد المقدسيّ(٦٦) أخلاق النّاس في عصره، وخرج من ذلك بقوله(٦٧):

قلّ الحِفاظُ فذو العاهات محترم ... والشّهمُ ذو الرّأي يؤذى مع سلامتهِ
كالقوس يُحفظ عمداً وهو ذو عِوَجٍ ... ويُنْبَذُ السّهمُ قصداً لاستقامتهِ

ويبدو الدافع الذاتيّ إلى النقد في الأبيات التالية الّتي يرسم فيها الحكيم عبد المنعم الجليانيّ(٦٨) السّبيل إلى الحظوة عند الحكّام في زمنه. يقول(٦٩):

قالوا ترى نفراً عند الملوك سَمَوا ... وما لهم همّة تسمو ولا وَرَعُ
وأنتَ ذو همّة في الفضلِ عاليةٍ ... فلمْ ظَمئت وهم في الجاه قد كرعوا؟
فقلتُ: باعوا نفوساً واشتروا ثمناً ... وصُنتُ نفسي فلم أخضع كما خضعوا

قَـدْ يُكرم القـردُ إعجـابـاً بخسّتِـهِ وقـد يُهـانُ لفـرطِ النّخـوةِ السَّبُـعُ

وينتقد ابن الزّاهد الدمشقيّ(٧٠) ما يراه من سيادة الجهّال على النّاس، واكتسابهم للأموال، وإنفاقها على الفساد، وتدبيرهم للأمور على غير هدى وبصيرة. يقول(٧١):

عجبتُ لمعشرٍ في النـاس سـادوا فـنـالـوا بـالجـهـالـة مـا أرادوا
شـروا بـاللؤمِ ذمّـاً فـاسـتـفـادوا ألـوف الـمـال لـكـن مـا أفـادوا
فـمـا جـادوا عـلى حـرّ ولـكـن عـلى الـعـوّادِ والـقـوّادِ جـادوا

* * *

فيما تقدّم تمّت دراسة الظاهرة الشعريّة الّتي سايرت بعض مظاهر الفساد ـ أو ما رآه الشّعراء فساداً ـ في المجتمع الشّاميّ في عصر الحروب الصليبيّة، وكان مجال هذا الشّعر هو الهجاء ـ في الغالب ـ ممّا فرض عليه محدوديّة في التنويع، إذ اتّخذ معظمه أسلوب التّقريع والتنديد، غير أنّ بعض الشّعراء حاولوا أن يضفوا على نقدهم روح التندّر والسخرية معتمدين على التّصوير الهزليّ. وقلّما نجد في هذا الشّعر قصائد، وإنّما كان أغلبه مقطوعات قصيرة تتّسم بوحدة الفكرة، وقوّة العاطفة، والتّلقائيّة في التّعبير، وكأنما أراد الشّعراء من هذه المقطوعات أن تحقّق في أبيات قليلة ما يرجونه من سرعة التأثير.

ومع أنّ قسماً كبيراً من الأشعار السّابقة قد دُرس في سياقه التّاريخيّ، بيد أنّه لا بدّ من القول إنّه من عدم الدقّة الاعتماد على هذه الأشعار على أنّها وثائق تاريخيّة تصوّر بدقّة الواقع الذي يعيشه الشعراء، لأنّ الشّاعر لا يقدّم لنا الحقائق بموضوعيّة، وإنّما يقدّمها كما يراها هو بحسّه الفنيّ، «وسواء أقلنا بعد قراءة الشّعر أنّنا نوافق الكاتب في رأيه أم لا نوافقه، لأنّ الحياة في واقعها ليست كما يراها، فهذا ليس هو المهمّ، وإنما المهمّ أنّ قراءتنا لهذا الشّعر

تجعلنا ننظر إلى الحياة من زوايا جديدة . . . قد تكون أعمق وأنضج ، حتّى لنحسّ ، عندما نطوي آخر صفحة ، أنّنا ازددنا معرفة بالحياة والإنسان»(٧٢) ، ولعلّه استبان لنا شيء من ذلك في العرض السّابق .

التّوثيـق :

١ ـ انظر ترجمة ابن منير في كتاب الخريدة ـ قسم الشّام ١ : ٧٦، وترجمة فتيان بن عليّ في المصدر السّابق ١ : ٢٤٧ ـ ٢٥٩، وترجمة ابن عنين محمد بن نصر في وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٥ ـ ٤٠٨، وترجمة ابن المسجّف العسقلانيّ عبد الرحمن بن أبي القاسم في فوات الوفيات ٢ : ٢٨٢، وترجمة أبي جلنك أحمد بن أبي بكر الحلبيّ في المصدر السّابق ١ : ٦٠، وترجمة عين بصل إبراهيم بن عليّ الحرّانيّ في المصدر نفسه ١ : ٣٥.

٢ ـ الكواكب الدّريّة : ١٧٠.

٣ ـ فوات الوفيات ١ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨

٤ ـ الذّيل على الرّوضتين : ١٨١.

٥ ـ هو عبد الله بن عليّ بن الحسين، الصاحب صفيّ الدين بن شكر ولد سنة ٥٤٨هـ وتوفّي سنة ٦٢٢ هـ. فوات الوفيات ٢ : ١٩٣.

٦ ـ فوات الوفيات ٢ : ١٩٤.

٧ ـ لم أهتد إلى ترجمته، وقد ذكر أبو شامة أنّه كان واعظاً له قبول عظيم. الرّوضتين ١/١ : ٢٨.

٨ ـ الرّوضتين ١/١ : ٢٨.

٩ ـ المصدر السّابق ١/١ : ٢٩.

١٠ـ من رجال الدّولة النوريّة. الرّوضتين ٢/١ : ٥٩٦.

١١ـ هو محمد بن سعد بن عبد الله الحنبليّ المقدسيّ توفّي سنة ٦٥٠ هـ. فوات الوفيات ٣ : ٣٥٨.

١٢ـ فوات الوفيات ٣ : ٣٥٨.

١٣ـ هو مهذّب الدّين يوسف بن أبي سعيد السّامريّ، طبيب مشهور، استوزره الملك الأمجد، وكثر منه العسف والفساد. عيون الأنباء : ٧٢١.

١٤ـ المصدر السّابق : ٧٢٢.

١٥ـ المصدر نفسه : ٧٢٢

١٦ـ هو عمّ صلاح الدّين، كان مقداماً مهيباً. وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٩.

١٧ـ لم أهتد إلى ترجمته.

١٨ـ هو يحيى بن النقّاش الحلبيّ، من شعراء الخريدة، وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان. الخريدة ـ قسم الشّام ٢ : ٢٤٦، معجم البلدان (الرّحبة)

١٩ـ الخريدة ـ قسم الشّام ٢ : ٢٤٦.

٢٠ـ المصدر السّابق ٢ : ٢٤٦

٢١ـ هو أبو حسّان نعمة بن حسّان المعرّيّ، كان حيّاً سنة ٥٧٢ هـ. الخريدة ـ قسم الشّام ٢ : ٢٣٣.

٢٢ـ الخريدة ـ قسم الشّام ٢ : ٢٣٣.

٢٣ـ هو محمّد بن سوّار بن إسرائيل ولد سنة ٦٠٣ هـ وتوفّي سنة ٦٧٧ هـ. فوات الوفيات ٣ : ٣٨٣.

٢٤ـ تالي كتاب وفيات الأعيان : ١٤٢.

٢٥ـ هو طراد بن عليّ بن عبد العزيز، أبو فراس السلميّ الدمشقي المعروف بالبديع، توفي سنة ٥٢٤ هـ. تهذيب ابن عساكر ٧ : ٥١.

٢٦ـ فوات الوفيات ٢ : ١٣٣ .

٢٧ـ ديوان ابن عنين : ٢١٠

٢٨ـ المصدر السّابق : ٩٤ .

٢٩ـ نفسه : ٢٣٦

٣٠ـ نفسه : ٩٤

٣١ـ نفسه : ٢٣٩ .

٣٢ـ نفسه : ١٣٢

٣٣ـ هو محمّد بن عبد الله بن محمّد المعروف بأبي المجد المعرّي . توفي سنة ٥٢٣ هـ . عيون التّواريخ ١٢ : ٢٠٤ .

٣٤ـ الخريدة ـ قسم الشّام ٢ : ١٢ .

٣٥ـ الخريدة ـ قسم الشّام ٢ : ٩٨، والشّاعر هو أبو محمّد بن عبد القاهر ابن المهنّا رآه العماد الأصفهانيّ سنة ٥٧١ هـ . انظر : الخريدة ـ قسم الشّام ٢ : ٩٨ .

٣٦ـ هو القاضي الأعزّ أبو الفتح محمد بن عبد الله التميميّ ، قاضي صور، توفّي سنة ٥٣٢هـ . تاريخ ابن القلانسيّ : ٤١٨ .

٣٧ـ شعر ابن منير (ميكروفلم) : ١٧٧ .

٣٨ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢٠١ .

٣٩ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢٠١ .

٤٠ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢٠١ ، ولم يذكر أبو شامة اسم الشّاعر .

٤١ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢١٤ .

٤٢ـ الذّيل على الرّوضتين : ١٤٨

٤٣ـ فوات الوفيات ٢ : ٣٥٢

٤٤ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢١٤

٤٥ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢١٤

٤٦ـ لم أهتد إلى ترجمته.

٤٧ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢١٥.

٤٨ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢٣٦.

٤٩ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢٣٦.

٥٠ـ الحَشْريّة : هم الّذين يباشرون تحصيل مال من يموت وليس له ولد. صبح الأعشى ٣ : ٤٦٠.

٥١ـ جمهرة الإسلام (ميكروفلم) ١ : ٨٢.

٥٢ـ هو أبو عديّ النعمان بن وادع المعرّيّ توفي بعد ٥٥٠ هـ. الخريدة ـ قسم الشّام ٢ : ٤١.

٥٣ـ المصدر السّابق ٢ : ٤٢.

٥٤ـ هو عليّ بن يحيى بن أحمد المعروف بابن السلّار الكاتب، ولد سنة ٥٥٢ هـ. عقود الجمان لابن الشعّار (ميكروفلم) ٥ : ٢٩.

٥٥ـ المصدر السّابق ٥ : ٢٩.

٥٦ـ ديوان فتيان الشّاغوريّ : ١٣١.

٥٧ـ ديوان ابن عنين : ٢٣٧.

٥٨ـ المصدر السّابق : ١٣٨

٥٩ـ نفسه : ١٤٣

٦٠ـ نفسه : ٢٢١

٦١ـ الذّيل على الرّوضتين : ٢٢٢ .

٦٢ـ هو عليّ بن سنان أبو الحسن الحلبيّ، المنعوت باللطيف السرّاج، كان رجلاً عاميّاً توفيّ في حدود سنة ٦٠٦ هـ. عقود الجمان لابن الشعّار (ميكروفلم) ٥ : ١٢١

٦٣ـ عقود الجمان لابن الشعّار (ميكروفلم) ٥ : ١٢٢، وللاستزادة انظر الصفحة نفسها والّتي بعدها.

٦٤ـ هو أبو الفوارس المظفّر بن عمر بن سلمان، من شعراء الخريدة. انظر: الخريدة ـ قسم الشام ٢ : ٤٥٩ .

٦٥ـ المصدر السّابق ٢ : ٤٥٩ .

٦٦ـ هو الحافظ أبو محمّد عبد الخالق الدمشقيّ، مدرّس بالصّاريّة، توفي سنة ٥٦٤هـ. الخريدة ـ قسم الشام ١ : ٢٨٢ .

٦٧ـ المصدر السّابق ١ : ٢٨٣ .

٦٨ـ هو حكيم الزّمان أبو الفضل عبد المنعم بن عمر الغسّانيّ الأندلسيّ الجليانيّ، وفد إلى دمشق ومات فيها سنة ٦٠٢ هـ. عيون الأنباء: ٦٣٠

٦٩ـ المصدر السّابق : ٦٣٤ .

٧٠ـ هو أبو الحسن عليّ بن عبد الصمد الرّازيّ الأصل، ثمّ الدمشقيّ، من رجال القرن السّادس. إنسان العيون في مشاهير سادس القرون (ميكروفلم): ٢٦٦ .

٧١ـ عقود الجمان لابن الشعّار (ميكروفلم) ٥ : ١٢٢ .

٧٢ـ اللغة والأسلوب في شعر عرار، د. محمود السّمرة، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، العدد المزدوج ٥ ـ ٦، أيّار ـ كانون الأوّل، ١٩٧٩، ص ٧٠ .

المصادر مرتّبة هجائياً حسب عنوان الكتاب.

أوّلاً ـ المصادر المخطوطة :

١ ـ إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، مجهول، ميكروفلم رقم ١٤١٠ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.

٢ ـ جمهرة الإسلام ذات النّثر والنّظام، مسلم بن محمود الشّيزريّ، ميكروفلم رقم ٩٢٢٣ أدب، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.

٣ ـ شعر ابن منير الطرابلسيّ، مخطوط رقم ٢١٠، مكتبة أمبروزيانا، وعنه شريط مصوّر في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية

٤ ـ عقود الجمان من شعراء هذا الزّمان، أبو البركات مبارك بن أبي الشّعّار الموصليّ، ميكروفلم رقم ٣٣٩ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.

ثانياً ـ المصادر المطبوعة :

٥ ـ تاريخ دمشق، ابن القلانسي : أبو يعلى حمزة بن أسد، تحقيق د. سهيل زكّار، دار حسّان، دمشق، ١٩٨٣.

٦ ـ تالي كتاب وفيات الأعيان، فضل الله بن أبي بكر الصقاعيّ، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٤.

٧ ـ تراجم رجال القرنين السادس والسّابع المعروف بالذّيل على الرّوضتين، أبو شامة المقدسيّ، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٧٤

٨ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير، الحافظ ابن عساكر، هذّبه عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩.

٩ ـ خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهانيّ، (قسم شعراء الشّام) تحقيق د. شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٥.

١٠ـ ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ط ٢، ؟

١١ـ ديوان فتيان الشّاغوري، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربيّة، دمشق، ١٩٧٦.

١٢ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العبّاس أحمد بن عليّ القلقشنديّ، المؤسّسة. المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنّشر، القاهرة، ١٩٦٣.

١٣ـ عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.

١٤ـ عيون التّواريخ، محمد بن شاكر الكتبيّ، تحقيق د. فيصل السّامر ونبيلة عبد المنعم، وزارة الإعلام العراقيّة، ١٩٧٧

١٥ـ فوات الوفيات، محمّد بن شاكر الكتبيّ، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.

١٦ـ الكواكب الدرّيّة في السيرة النّوريّة، تقيّ الدّين أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، تحقيق د. محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١.

١٧ـ معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحمويّ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

١٨ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلّكان، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

ثالثاً ـ الدّوريّات : ـ

١٩ـ اللغة والأسلوب في شعر عرار، د. محمود السمرة، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، العدد المزدوج ٥ ـ ٦ (أيّار ـ كانون الأوّل)، ١٩٧٩.